الجيل الضائع بين الحق والواجب

الأخ سعيد الراجي

معلوم أن كل حق يقابله واجب .. ففي حقوق الزوجية مثلا .. يعتبر حق كل من الزوجين واجباً على الآخر .. والموظف العام أو الخاص واجباته هي حقوق الناس ..

والسؤال الذي يهمنا هو : هل أحصل على حقوقي أولاً لأؤدي واجبي ؟ . أم أؤدي واجبي ثم أسأل عن حقوقي، أم أؤدي واجبي دائما .. ولو قصّر الناس في حقوقي .. دائما ؟

لنضع الواقع أمامنا حتى نجيب على هذه الأسئلة .. هل يمكن أن يكون تقصير الزوج مبرراً للزوجة ألا تؤدي حق بيتها وأولادها .. وزوجها أيضا ؟ وإذا كان الأمر كذلك .. فماذا لو تاب وأناب ؟ وإذا يتب .. أليس لها الأجر من ربها .. فضلاً عن أنها كسبت تربية أبنائها رغم كل الظروف ؟ .

ويقابل ذلك .. هل يمكن أن يكون تقصير الزوجة مبرراً للزوج بعدم النفقة على بيته ؟ .. إننا نرى أنه في كلا الحالين .. الضحية هم الأولاد .. ثم المجتمع .. لأن الأولاد إما أن يتحولوا إلى مجرمين حاقدين على الناس لأنهم ضاعوا على أيدي أعزِّ الناس عندهم .. وإما أن يكونوا نجباء جادين ولكن تعتريهم بعض العقد ، فإذا ما قادوا يوماً ما مسؤولية عمل ضيعوا فيه مرؤوسيهم .. لأن الذي ينشأ في بيت ضائع .. لا نتوقع منه إلاّ أن يضيع من بعده –إلاّ من تغمده الله برحمته– يضيع الناس ومصالحهم باللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية ، لأنه في صغره لم يجد النموذج الذي يعلمه تحمل المسؤولية ..

حقي أولا .. ثم واجبي ثانيا .. انتقلت عدواه من الأفراد إلى سياسة الدول .. لأن الدولة مجموعة أفراد .. وسياستها انعكاس للتربية والفكر السائد بين الناس .

فالدولة بدلاً من أن تؤدي واجبها في بناء شعبها تعمل على هدمهم .. كيف ذلك .. ؟ ليس البناء كما يظن لبعض رصف الطرق وتشييد الكباري والمدارس والمستشفيات ورسم خطة تنمية طموحة فحسب .. بل قبل ذلك وأهم منه بناء الأفراد من الداخل .. ولن يُبنى الفرد من الداخل إلاّ بممارسة سلوك جاد وفكر قويم .. ولن يختار الجاد من السلوك والقويم من الفكر .. إلى صحب خلق فاضل .. ولا يكون الخلق فاضلا .. إلاّ بعقيدة صحيحة ترجو رحمة الله .. وتخشى عذابه .

لا أدري كيف تقوم الحكومات ببناء مدرسة تزعم أنها تربي من خلالها ، ثم تقدم برامج تلفزيونية تشغل باقي اليوم بفيلم خليع ، وأغنية رقيعة ، وتبث قيماً منحلة .. ؟ فتفسد ما تمّ بناؤه في المدرسة أو المسجد إن كان هناك بناء .. ومع ذلك فأجهزة الإعلام ملك للدولة ؟! ثم تزعم الحكومة أنها تسعى إلى تحرير الأرض وبناء الفرد .. الدولة تقوم بإيقاظ مشاعر الجنس عند الناشئة ، بل وعند الكبار أيضاً ، وتبث قيم المنفعة بين الناس .. فهل نتوقع من فرد يسمع ويرى الفساد ملوناً في بيته ألاّ يسعى للفساد .. ؟ وهل نتوقع ممن لا يحافظ على عفته أو عفة الناس .. أن يكون عفيفاً في الأموال .. وهل نتوقع من مجتمع انشغل معظمه بين لذة الجنس أو لذة جمع المال أن يكون مجاهدا .. ؟ الأمر طبيعي .. أن نشعر بالخوف من أعدائنا .. وأن يكبر أمرهم في نفوسنا .. ونقول إنها دول عظمى وكبرى فكيف لنا بها ؟! . إنها الهزيمة من الداخل .. إنها حب الدنيا والخوف من ضياع الملذات ..

هل نعمل أننا انهزمنا .. مرة بعد مرة .. عندما تحولنا من أمة تجاهد وتؤدي الواجب إلى أمة تطالب بحقها .. وأخذت تجري هنا وهناك في المنظمات والمحافل الدولية ، تستجدي حقها من عدوها .. وتقسم أرضها بينها وبينه ، ما قبل 67م وما بعد 67م .. وتسمي ذلك سلاماً عادلا .. أي عدل في ذلك ؟ إنه حصيلة طبيعية لأمة لا تؤدي الواجب في كافة أمورها الصغيرة ، حتى أصبح عدم أداء الواجب في الأمور الكبيرة أمراً مقبولا ..

إننا نقتل أبناءنا .. نقتل فيه قيمهم .. لأننا نحولهم من بشر عليه أمانة إلى قِطعانٍ تبحث عن إشباع الشهوات ..

عندما يكون الشعار ..

.. أؤدي واجبي ولو قصّر كل الناس في حقوقي ..

.. لأنني أعبد الله بأداء الواجب ..

.. وحتى لا أشارك في هدم ما تبقى من البيت .. والمجتمع والدولة ..

.. وسوف أجد يوماً من يضع يده في يدي لنبني ولو كان غيرنا يهدم ..

عند ذلك .. سوف نجد في النهاية جيلاً ينظر لأرضه الضائعة ويردد حديث رسول الله ﷺ : « **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ النِفَاق** » رواه مسلم

حينئذ فقط .. نستطيع أن ندعوَ الله ونحن موقنون بالإجابة لأن ﴿ ... **اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ... ﴾ [الرعد : 11]